مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies) ج وهران2/ المجلد 10 ع 2 خ / 16 /03/ 2021
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

قراءة جورج طرابيشي للتيارات القارئة للتراث
التيار العلمي الإبستمولوجي محمد عابد الجابري أنموذجا

Georges tarabichi reading The reading currents of heritage (The scientific epistemological trend, Muhammad abed Al-jabri as a Model

عمار بوزيزه Amar Bouziza aminhayat755@gmail.com	فلسفة عامة	كلية العلوم الإنسانية- جامعة الجزائر2- الجزائر- مختبر: الجماليات والفنون والفلسفة المعاصرة

DOI : 10.46315/1714-010-002-014

الإرسال: 2020/03/22 **القبول**: 2020/08/23 **النشر**: 2021/03/16

ملخص:

تقدم هذه الورقة البحثية قراءة طرابيشي النقدية للتيار العلمي الإبستمولوجي وقراءته للتراث وذلك من خلال أنموذج "الجابري" الذي له مواقف سنعرضها من خلال هذا البحث ومن بينها تقسيمه العقل العربي إلى عدة مستويات وكذلك نظرته إلى الفلسفة العربية والمذاهب الدينية المختلفة. كل هذه المسائل الفكرية تطرق إليها "طرابيشي" بالتحليل النقدي.

كلمات مفتاحية: التراث؛ التيار العلمي الإبستمولوجي؛ المعقول واللامعقول؛ الفلسفة العربية الإسلامية؛ المذاهب الدينية.

Abstract:

This research paper presents Tarabichi's critical reading of the epistemological scientific current and his reading of heritage through a model that is "Jabri", which has positions that we will present through this research, including the division of the Arab mind into several levels, as well as its view of Arab philosophy and different religious doctrines. All these intellectual issues were presented by Tarabichi under the morgue.

Keywords : Heritage, Epistemological scientific stream, Reasonable and irrational, Arab Islamic philosophy, Religious doctrines.

*-مقدمة

يعدُّ "**جورج طرابيشي**" واحدا من أهم المشتغلين على التراث بصفة عامة، والمشتغلين على فكر "**محمد عابد الجابري**" ـ الباحث الراسخ في التراثيات ـ بصفة خاصة، وهو الذي قال ذات يوم أن "**الجابري**" تبوأ مكانة راقية في الفكر العربي المعاصر وآن الأوان لإنزاله من عرشه، كل ذلك يجعلنا ندرك أن "**طرابيشي**" أعطى أهمية كبيرة لفكر "**الجابري**" وهو الذي أكد في أحد كتبه أن ناقد

العقل العربي دفعه لإعادة تكوين معارفه جيدا وإعادة قراءة التراث، وهو ما يؤكد على أهمية فكر "**محمد عابد الجابري**" كل ذلك دفعنا إلى الاهتمام والبحث في مسألة قراءة "**طرابيشي**" للتراث وموقفه من قراءة ناقد العقل العربي للتراث؛ ومن خلال هذا الطرح نتساءل: فما هو موقف "**طرابيشي**" من المنهج الذي اعتمد عليه "**الجابري**" لقراءة للتراث؟ وما القيمة النقدية لقراءة "**طرابيشي**" لنصوص "**محمد عابد الجابري**" التي تعالج المذاهب الدينية والفلسفة الإسلامية؟

1/ المنهج الإبستمولوجي والتراث:

قبل الحديث عن المنهج الابستمولوجي ينبغي الحديث عن تعريف الابستمولوجيا؛ يقول "**لالاند**" في كتابه المعجم الفلسفي معرفا الابستمولوجيا { **تعني هذه الكلمة فلسفة العلوم، ولكن بمعنى أكثر دقة؛ فهي ليست بالضبط دراسة المناهج العلمية؛ هذه الدراسة هي موضوع الميتودولوجيا والتي تشكل جزء من المنطق، وليست كذلك تركيبا أو تخمينا للقوانين العلمية، إنما هي أساسا الدراسة النقدية لمبادئ العلوم ولفروضها ونتائجها بهدف بيان قيمتها الموضوعية** } (F, Grison, 2011, p :18)

إنَّ الابستمولوجيا هي في الأساس منهج مضاد للاختزال، فإن "**الجابري**" حسب "**طرابيشي**" يرجع العقل إلى كل المواضيع المتعلقة بالمعقولات، وكأن اللغة الوحيدة للعقل هي لغة النثر العقلي، وكأن "اللاعقل" لا يؤلف جزءا مقوما من العقل، لذلك يستبعد ناقد العقل العربي كل التعابير اللاعقلية عن هذا العقل، فهو يستبعد الشعر من منطلق أنه لغة الحساسية والوجدان، ويستبعد النثر الفني لأنه يعتقد أنه لغة الخيال؛ والخيال عنده ملكة مفارقة للعقل، ويستبعد النثر العلمي لأن لغة العلم هي لغة وقائع وعينات، بينما لغة العقل هي لغة المعقولات والمجردات. (طرابيشي، ج، 2012، ص 89-90)

ولكن الأمر مختلف تماما بالنسبة إلى رائد التحليل الإبستمولوجي وهو "**ميشيل فوكو**"، الذي يسعى إلى اكتشاف "الابستيمي" أو ما يسمى النظام المعرفي للعقل في السجون ومصحات الأمراض النفسية، وهو الذي بحث في الجنون واكتشافه لنوع من المنطق في خطاب الجنون؛ لا يقل دقة وصرامة عن منطق خطاب العقل. (المحمداوي، ع، 2013، ص 872) وهو ما يوضح أنه يمكن أن نجد في اللامعقول الذي ينظر إليه "**الجابري**" نظرة سلبية جوانب من المعقول والمنطق.

هذا ويرى "**طرابيشي**" أن "**الجابري**" لم يقم بأي محاولة تذكر في تنقيبه عن النموذج المعرفي للبحث عن مواد أو منتجات "**غير عقلية**" لها دور في بروز العقل العربي، وعلى الرغم من أن الحضارة العربية هي حضارة شعر بقدر ما كانت ـ على الأقل ـ حضارة فقه، فإن "**الجابري**" لا يستشهد أبدا في تحليله لهذا العقل تكوينا وبنية على بيت شعري واحد ـ باستثناء مرة واحدة استشهد ببيت للحلاج ليبيّن أن هذا الأخير فيلسوف لا شاعر ـ(طرابيشي، ج، 2012، ص 80)

إن ما يريد "**طرابيشي**" التأكيد عليه هو أن "**الجابري**" أهم جوانب اللامعقول التي يمكن أن تفيد الفكر أيضا. وإذا كان كل من الأديب والشاعر يستعمل الأقوال في معانيها المجازية، ويضمران قدرا من هذه المعاني والحدود؛ فإنهما بذلك يقومان بحفظ الإشارة وصرف العبارة، أما اللغة الفلسفية فهي تحفظ العبارة وتحفظ الإشارة.(قوتال، ز، 2015، ص 33) بمعنى أنه يمكن للشعر أن يفيد اللغة الفلسفية التي تسعى إلى حفظ الإشارة. واللغة الفلسفية تعتمد على لغة طبيعية "أدبية" ولغة منطقية.

إن ما يريد "**طرابيشي**" الإشارة إليه هنا هو أنه لا يمكن القول أن الشعر لا يمثل العقل، لأنه يمكن الاستفادة منه لتمرير أفكار مبنية على المعقول والتماسك المنطقي.

كما أن "**الجابري**" مارس صمتا مطبقا إزاء "**ألف ليلة وليلة**"؛ الذي عده الكثير من الدارسين بحق سجلا ذهبيا للحضارة العربية الإسلامية، وفعل ذلك أيضا مع المقامات، كما أنه لم يهتم بالآلية التي كُتب بها التاريخ العربي نفسه، فحتى عندما درس مؤرخا كـ"**ابن خلدون**" تناوله كفيلسوف وليس كمؤرخ، فاهتم بموقفه من العقل والعلوم العقلية.(طرابيشي، ج، 2012، ص 81)

إن ما يرمي إليه "**طرابيشي**" هنا هو أنه لا يجب إقصاء الشعر والقصص التراثية من المعقول، لأن التراث يحوي ذخائر مبنية وفق أسس عقلية يمكن الاستفادة منها.

يرى "**طرابيشي**" أن ناقد العقل العربي قام باختزال العقل في "**العقل العقلي**" وحده حيث يقول عن هذا الاختزال { **في تكوين العقل العربي "1984"، ثم في بنية العقل العربي "1986"، قد تعاطى حصرا بسائق من ذلك الاختزال مع العقل الفقهي ـ الكلامي، والعقل التصوفي والعقل الفلسفي، ومن ثم فقد تراءى له أن العقل العربي المقسم هذا التقسيم يعمل تحت إمرة أنظمة معرفية ثلاثة: البيان والعرفان والبرهان، ولكنه حينما انتقل في طور لاحق إلى نقد العقل السياسي العربي"1990"، تخلى تماما عن تلك القسمة "الابستمولوجية" الثلاثية واعتمد**

للعقل السياسية تفسيرا معرفيا مباينا، بالاستناد هذه المرة إلى ثلاثي "القبيلة والغنيمة والعقيدة"}(طرابيشي، ج، 2012، ص 82)

ولنا أن نتساءل هنا لماذا هذا الاختلاف في التفسير بين أنظمة معرفية أقر بها **"الجابري"** في "**تكوين العقل العربي**" و"**بينة العقل العربي**" مع أنظمة أخرى تتحكم في العقل السياسي؟

يُجيب "**طرابيشي**" عن هذا السؤال بقوله أن **"الجابري"** وقع في مأزق، فلو كان العرفان أو البيَّان أو البرهان نظاما معرفيا ثابتا للعقل العربي، لكان العقل السياسي العربي خضع للتحديد نفسه، أما ما قام به **"الجابري"** فيعني إما أننا لسنا أمام تحليل ابستمولوجي قادر على الوصول إلى الثوابت البنيوية، وإما أننا لسنا أمام بنية ثابتة لعقل عربي كلي تتكرر في جميع العقول الجزئية التي يتمظهر بها.(طرابيشي، ج، 2012، ص 82-83)

إن المنهج الإبستمولوجي عند **"الجابري"** يتحول إلى أداة أيديولوجية حسب **"طرابيشي"**، لأنه منهج يصدر أحكام الإدانة التي ترى أن فكرة ما ليست فكرة عقلية بل تنتمي إلى اللامعقول، لذلك يقول "طرابيشي" **{ البيان والعرفان والبرهان ليست مفاتيح للعقل العربي بقدر ما هي عند مؤلفنا أحكام قيمة لا يجمع بينها سوى تضادها ذي الطبيعة المانوية: فالعرفان رجس رجيم، والبرهان خير عميم، أما البيان فهو فرس الرهان: فإن تحالف مع ملاك البرهان كتب له الفوزان الأصغر والأكبر، وإن تعارف مع شيطان العرفان قضى عليه بالهلاك الأبدي.}**

(طرابيشي، ج، 2012، ص 82-83)

هذا وعلى الرغم من أن "**الجابري**" حرص على مصارحة قارئه أن هذا التصنيف لا يحمل دلالة قيميَّة وأنه لا يقدح في "**اللامعقول**" حيث يقول: **{لنؤكد بادئ ذي بدء أننا لا نربط هذا التصنيف بأية دلالة قيمية فنحن لا نقدح في "اللامعقول" ولا "في الموروث القديم" كما أننا لا نصدر عن نظرة رومانسية إلى نوع ما من "المعقول"، وبالتالي فنحن لا نعطي لهذه التصنيفات إلا ما لها من قيمة منهجية.}**

(الجابري،م، مارس 2009، ص 141)

لكن إذا ما أدركنا أن البيَّان يرادفه "**المعقول الديني**"، والبرهان يرادفه "**المعقول العقلي**"، بينما يرادف العرفان " **اللامعقول العقلي**"، كما أن العرفان غالبا ما يتلقى تعبيرا أكثر جارحية وهو "**العقل المستقيل**"، كما أن المقصود "بالعقل الديني" الفكر الديني للحضارة العربية الإسلامية، وتحديدا "الكتاب والسنة"، والمقصود "بالمعقول العقلي" الفكر الفلسفي للحضارة اليونانية،

والمقصود "باللامعقول العقلي" أو "العقل المستقيل" جميع الهمجيات الدينية والفلسفية التي يحملها الموروث القديم، مثل الغنوصية والهرمسية والمانوية والفيثاغورية، الأفلاطونية المحدثة..الخ.(طرابيشي، ج، 2012، ص 84) ومن خلال العقل المستقيل نعرف أن تقسيم **"الجابري"** هو تقسيم قيمي.

والحال أنه ما دام الأمر كذلك فالدلالة القيمية بارزة بوضوح من خلال تلك التقسيمات التي يعتمد عليها **"الجابري"**، فهو ينظر نظرة سلبية إلى الغنوصية والهرمسية والفيثاغورية فهي كلها تمثل اللامعقول.

2/ موقف "الجابري" من المذاهب الدينية:

يرى **"الجابري"** أن الفكر الشيعي يمثل اللامعقول حيث يقول: **{ عملت هذه المعارضة الشيعية ذاتها على توظيف منتجات "العقل المستقيل" كأساس ابستمولوجي لأيديولوجيتها، بل استقت منها فلسفتها الدينية والسياسية بصورة مباشرة.}** (الجابري،م، مارس 2009، ص 348)

وإذا كانت **"المعارضة الشيعية"** قد تمركزت في فارس، فإن فارس بكاملها دون تمييز فيها بين الشيعة المعتدلة والشيعة المغالية قد تحولت إلى مستودع للامعقول العقلي والديني أي **{لفلسفة تضم أمشاجا من الفيثاغورية الجديدة والأفلاطونية المحدثة في صيغتها المشرقية الحرانية والعلوم السرية الهرمسية، بالإضافة إلى عناصر من الفكر الإيراني الزردادشتي القديم، مما كرس النظام المعرفي العرفاني في إيران كلها وجعله يؤسس هناك الثقافة الفلسفية بمختلف فروعها.}**(الجابري،م، مارس 2009، ص 270) وهنا ينبغي التأكيد على أن **"الجابري"** كان مغاليا في موقفه حينما أكد أن فارس كلها موطن اللامعقول.

إن **"الجابري"** يرى أن الشيعة بمختلف اتجاهاتها غرقوا في **"بحر الهرمسية"** من الغلاة الأوائل إلى الرافضة والجهمية، وبعض التيارات المجسمة إلى رسائل إخوان الصفا التي يرى أنه لا شك في انتمائها الإسماعيلي وطابعها الهرمسي، إلى الفلسفة الإسماعيلية في أعلى مراحل نضجها إلى التيارات الصوفية الباطنية والفلسفة الإشراقية. إلى امتدادت أخرى كفلسفة **"ابن سينا"** وتصوف **"الغزالي"**، زد على ذلك حكمة الإشراق للسهروردي الحلبي.(الجابري، م، مارس 2009، ص 212)

إن سبب هجوم **"الجابري"** على إخوان الصفاء حسب **"طرابيشي"**؛ هو أن **"الجابري"** يرى أن تأثير إخوان الصفاء واضح في فكر **"ابن سينا"**، **{ فإن يكن ابن سينا هو أول من تبنى من فلاسفة الإسلام " الهرمسية بكاملها بتصوفها وعلومها السرية والسحرية " فإن أول من تولى هرمسة ابن سينا هم إخوان**

الصفاء...فإليهم تعود المبادرة " للترويج على نطاق واسع لـ"فلسفة" تضم أمشاجا من الفيثاغورية الجديدة والأفلاطونية المحدثة في صيغتها المشرقية الحرانية} (طرابيشي، ج، 2004، ص 270)

إن **"الجابري"** يرى أن إخوان الصفاء لهم تأثير على **"إبن سينا"** وفلسفة إخوان الصفاء تضم أمشاج من الفيثاغورية الجديدة في صيغتها المشرقية الحرانية، وعليه فـ **"ابن سينا"** مع إخوان الصفاء ينتمون إلى الغنوص المشرقي.

يبقى أن نشير إلى نقطة هامة جدا في هذا المقام وهي أنه حسب **"طرابيشي"** ينتصر **"الجابري"** **ابستمولوجيا** للعقل البرهاني على العقل البياني، بقدر ما ينتصر للعقل البياني على العقل العرفاني، وانتصر **أيديولوجيا** للعقل **"السني"** على العقل **"الشيعي"**، وانتصر **جغرافيا** لعقل المغرب على عقل أو بالأحرى ـ لا عقل ـ المشرق، هذه الحروب على الجبهات الثلاث ودخوله طرفا فيها فوت على نفسه فرصة تطوير موقفا نقديا فعالا، وحربه هذه أيديولوجية وليست إبستمولوجية.(طرابيشي، ج، 1996، ص 24)

فبدلا أن يقوم **"الجابري"** بدور إيجابي يحاول من خلاله إرساء ثقافة الاعتراف، ها هو يدعو إلى العكس إلى محاولة تشطير التراث وفق قسمة عضال "سنة / شيعة" "المعقول / اللامعقول"...الخ.

3/ منهج التشطير والفلسفة الإسلامية {الرازي كنموذج تطبيقي}

إن **"الجابري"** يصر على أن **"الرازي"** تعلم من **"جابر بن حيان"** إن لم يكن منه فمن كتبه فـ**"الرازي"** حسب اعتقاده **{ طبيب "عقلاني"، ولكنه فيلسوف غنوصي هرمسي}**(الجابري، م، مارس 1991، ص 330) ولكن هناك اختصاصيا كبيرا في تاريخ "الكمياء الهرمسية" وهو **"هنري كوربان"** يرى أن تصور **"الرازي"** للكيمياء يختلف تماما عن تصور **"جابر بن حيان"** حيث يقول أن ما يميز **"الرازي"** **{ رفضه للتأويلات الباطنية والرمزية لأحداث الطبيعة }**(كوربان، هـ، مارس 1998، ص 215)

كما أن **"الرازي"** خصص في كتابه **"الطب الروحاني"** موضع لمديح العقل يمكن أن نجعلها عدة نصوص يقول في النص الأول: **{ إن البارئ عز اسمه إنما أعطانا العقل وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والآجلة غاية ما في جوهر مثلنا نيله وبلوغه، وأنه أعظم نعم الله عندنا وأجداها علينا، فبالعقل فُضلنا على الحيوان غير الناطق حتى ملكناها وسسناها وذللناها وصرفناها في الوجوه العائدة علينا وعليها، وبالعقل أدركنا جميع ما يرفعنا ويحسن ويطيب به عيشنا ونصل إلى بغيتنا ومرادنا.}**(الرازي،أ، مارس 1939، ص 17-18)

فهذا النص يبين المكانة المرموقة التي خصها **"الرازي"** للعقل فهو أعظم نعم الله التي أعطاها لنا، وبالعقل نال الإنسان درجة أعلى من الحيوان غير الناطق.

إن هذا النص الأول والنصوص التي ستأتي بعده سيتغير مدلولها عند "**الجابري**"، إذ يؤكد "**طرابيشي**" أن هذه النصوص التي تصب في خانة "**فضل العقل ومدحه**" كما يؤكد عنوان الفصل الأول من "**الطب الروحاني**"، ستنقلب حسب تأويل "**الجابري**" إلى نص في "**هجاء العقل وذمه**". (طرابيشي، ج، 2012، ص 98)

والحال أن ناقد العقل العربي يستشهد بالنصوص على طريقته الخاصة إذ يقول: { نعم يستهل "**الرازي**" **كتابه "الطب الروحاني" بـ"الإشادة" بـ"العقل"، ولكن أي "عقل" ومن أي موقع وفي أي إطار؟ لنستمع إليه أولا، يقول: "إن الباري عز اسمه أعطانا العقل وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والآجلة غاية ما في جوهر مثلنا نيله وبلوغه، وأنه أعظم نعم الله عندنا وأنفع الأشياء لنا وأجداها علينا {...} فحقيق علينا أن لا نحطه عن رتبته ولا ننزله عن درجته ولا نجعله وهو الحاكم محكوما عليه ولا وهو الزِمام مزموما ولا وهو المتبوع تابعا، بل نرجع في الأمور إليه ونعتبرها به ونعتمد فيها عليه فنمضيها على امضائه ونوقفها على إيقافه ولا نسلط عليه الهوى الذي هو آفته ومكدره، والحائد به عن سننه ومحجته وقصده واستقامته، والمانع من أن يصيب به العاقل رشده وما فيه صلاح عو اقب أمره، بل نروضه ونذلِله ونحمله ونجبره على الوقوف عند أمره ونهيه}** (الجابري،م، مارس 2009، ص 198)

إن الذي سنلاحظه هو أن "**الجابري**" يستخدم في استشهاده هذه العلامة {...} التي تدل على أن هناك كلاما محذوفا وسنعود في موضع آخر لنشرح السبب.

ويعلق "**الجابري**" على النص الذي استشهد به بقوله: " **إن كثيرا من الكتاب العرب المعاصرين المنقادين مع عملية "التنويه الذاتي" يستشهدون بالقسم الأول من هذه الفقرة على "عقلانية" الرازي ويذكرون له بإعجاب تساؤله: كيف يجوز أن نجعل العقل "هو الحاكم محكوما عليه ..."؟ ولكن هؤلاء يغفلون السياق العام لفكرة الرازي. ذلك أن المقصود هنا ليس الإشادة "بالعقل" كسلطة معرفية، بل كـ "سلطة" تقهر "الهوى" و"الشهوات" ...الخ وبعبارة أخرى إن العقل الذي يشيد به الرازي هنا هو "العقل المستقيل" الذي يقول بضرورة الحد من "الهوى" في إطار عملية "التطهير" الهرمسية التي تمكن من الاتصال بالعالم الروحاني، - ومن هنا كان انكاره للنبوة - وهذا هو مضمون وهدف كتابه "الطب الروحاني"}.** (الجابري،م، مارس 2009، ص 198-199)

من هنا نصل إلى طرح التساؤل التالي: ما "الإكسير" الذي استعمله "**الجابري**" حتى أمكن له تدبير النص بحيث تم "**إخراجه**" من طبيعته العقلانية الأصلية إلى طبيعته اللاعقلانية المكتسبة؟

يُجيب "طرابيشي" بقوله: **{ إنه أولا التلاعب بالشاهد، وثانيا إساءة التأويل، فالجابري أولا لم يستشهد بكل الشاهد، بل أسقط عمدا كل الفقرة التي وضعناها بين قوسين {...} أي أسقط تحديدا العبارات التي تحدد العقل "كسلطة معرفية". والو اقع أن الرجوع إلى نص الرازي يكشف لنا عن سبق مدهش، بالمقارنة مع فلاسفة العصر، إلى تعيين وظائف متعددة للعقل. وبالفعل إذا كان الرازي لا يأتي بجديد بإشادته بالعقل من حيث هو ملكة نوعية اختص بها الإنسان دون الحيوان غير الناطق، فإن المعاني الوظيفية الخمسة التي يعطيها للعقل تكاد تجعل من الرازي فيلسوفا حَداثي الانتماء.}**(طرابيشي، ج، 2012، ص 99)

وفي هذا الموضع نعود إلى النقطة التي قلنا أننا سنشرحها؛ إذ يبدو أن "**الجابري**" لم يفلح في اختزال النص بوضع علامة {...} التي تعني أن الكلام محذوف، لكن هذا الكلام المحذوف هو الذي يُبين سلطة العقل المعرفية.

يقول "**الرازي**" في النص الثاني: **{ فإنا بالعقل أدركنا صناعة السفن واستعمالها حتى وصلنا بها إلى ما قطع وحال البحر دوننا ودونه، وبه نلنا الطب الذي فيه الكثير من مصالح أجسادنا وسائر الصناعات العائدة علينا النافعة لنا }** (الرازي،أ، مارس 1939، ص 18)

يرى "**طرابيشي**" أن هذا النص يشير إلى ما يسميه هو "**العقل التكنولوجي**" (طرابيشي، ج، 2012، الصفحة نفسها)هذا العقل الذي من خلاله استطاع الإنسان صناعة وسائل النقل؛ وكذلك بالعقل طور الإنسان الطب ليعالج المرضى وينقذ حياتهم.

ويضيف في النص الموالي ما يلي: **{ وبه أدركنا الأمور الغامضة البعيدة منا الخفية المستورة عنا، وبه عرفنا شكل الأرض والفلك وعظم الشمس والقمر وسائر الكواكب و أبعادها وحركاتها }**(الرازي،أ، مارس 1939، الصفحة نفسها) والحال أن هذا النص يدل على ما يطلق عليه "**طرابيشي**" مصطلح "**العقل المعرفي**"(طرابيشي، ج، 2012، الصفحة نفسها) إذ من خلاله أسس الإنسان المعارف المختلفة.

وفي النص الرابع يقول "**الرازي**": **{ وبه وصلنا إلى معرفة البارئ عز وجل الذي هو أعظم ما استدركنا و أنفع ما أصبنا }** (الرازي،أ، مارس 1939، الصفحة نفسها) وهذا النص يصب في خانة ما يصطلح عليه "**طرابيشي**" "**بالعقل الميتافيزيقي**"(طرابيشي، ج، 2012، الصفحة نفسها) فبواسطته تمكن الإنسان من معرفة الله وإدراك عظمته وكل ما يتعلق بالغيبيات التي لا تدرك بالحواس.

وكان كلامه في النص الخامس كالتالي: **{وبالجملة فإنه الشيء الذي لولاه لكانت حالتنا حالة البهائم والأطفال والمجانين }.** (الرازي،أ، مارس 1939، الصفحة نفسها) وهذا الكلام يدل على ما يطلق عليه "**طرابيشي**" مصطلح "**العقل السيكولوجي**"(طرابيشي، ج، 2012، الصفحة نفسها)فلولا العقل لكان

الإنسان يعيش حالة غيبوبة كالتي تعيشها البهائم؛ هذه الأخيرة التي لا تعرف سبب عيشها في هذه الحياة ولا الغاية من هذا العيش.

وفي النص السادس يقول: **{ والذي به نتصور أفعالنا العقلية قبل ظهورها للحس، فنراها كأن قد أحسسناها ثم نتمثل بأفعالنا الحسية صورها فتظهر مطابقة لما تمثلناه وتخيلناه منها.}**(الرازي،أ، مارس 1939، الصفحة نفسها) وهذا النص دال على ما يطلق عليه "**طرابيشي**" مصطلح "**العقل التعقلي** أو "**العقل المحض**"(طرابيشي، ج، 2012، الصفحة نفسها)فنحن ندرك ونعرف ما نقوم به حتى قبل قيامنا بالفعل حسيا.

أما النص الأخير فكانت جمله كالتالي: **{ وإذا كان هذا مقداره ومحله وخطره وجلالته فحقيق علينا أن لا نحط من رتبته ولا نزله عن درجة، ولا نجعله وهو الحاكم محكوما عليه، ولا وهو الزمام مزموما، ولا هو المتبوع تابعا، بل نرجع في الأمور إليه ونعتبرها به ونعتمد فيها عليه، فنمضيها على إمضائه ونوقفها على إيقافه، ولا نسلط عليه الهوى الذي آفته ومكدره، والحائد به عن سننه ومحجته وقصده واستقامته، والمانع من أن يصيب به العاقل رشده وما فيه صلاح عو اقب أمره، بل نروضه ونذلِله ونحمله ونجبره على الوقوف عند أمره ونهيه }**(الرازي،أ، مارس 1939، ص 18، 19)

وهذا النص الأخير الذي يدَّعي "**الجابري**" أن "**الرازي**" من خلاله يؤكد على أنه ليس العقل " كسلطة معرفية، بل كسلطة تقهر الهوى والشهوات "، أما "**طرابيشي**" فيرى أنه هذا النص يُبين أن للعقل وظيفة أخلاقية.(طرابيشي، ج، 2012، الصفحة نفسها)فبواسطته يدرك الإنسان الخير من الشر ولا يسمح العقل للإنسان أن ينساق وراء الشهوات والهوى؛ بل العقل هو ما يجعل الإنسان يقف عند الحدود التي وضعها الله.

وبعد عملية الابتسار والتقطيع لنص "**الرازي**" التي قام بها "**الجابري**"، ينتقل إلى العملية الثانية التي أشار إليها "**طرابيشي**" وهي "**إساءة التأويل**"، بإقامته علاقة مساواة بين العقل القامع للهوى والعقل الهرمسي التطهري، ويؤكد "**طرابيشي**" أن العقل القامع للهوى هو عقل جميع الحضارات الكتابية بما فيها الحضارة العربية الإسلامية، التي يرى الدارسين لفلسفة التاريخ أنها "حضارة تكليف"(طرابيشي، ج، 2012، ص 99-100)

والحال أن معنى "**العقل**" في اللغة أساسا هو الربط **{ والعرب إنما سمَّت الفهم عقلا لأن ما فَهِمته فقد قيدته بعقلك وضبَطته كما البعير قد عُقِلَ، أي أنك قد قيَّدت ساقه إلى فخذيه.}** (المحاسبي، ح، 1971، ص 209)فالعقل في اللغة لا علاقة له بالهرمسية.

4/ نتائج

ـ إن "**الجابري**" حسب "**طرابيشي**" انتهى إلى نتائج ما كان لينتهي إليها لو أنه عمل وفق أطروحة وحدوية العقل العربي، فـ"**الجابري**" حينما قسم العقل إلى عقل عرفاني وعقل برهاني وعقل بياني حفر بذلك خندقا لصراع هذه العقول، كما أنه أدرج مذاهب دينية في دائرة اللامعقول، بل أنه قال أن فارس كلها بلاد الغنوص واللامعقول، والحال أن كل بلد يحوي المعقول واللامعقول.

ـ إن المنهج الابستمولوجي "**للجابري**" حسب "**طرابيشي**" هو منهج تشطيري، لأنه ينظر مثلا فيما يخص الفلسفة العربية إلى بعض الفلاسفة نظرة إيجابية مثل "**الكندي**"، ويبخس قيمة فلاسفة آخرين ليسوا عربا مثل"**الرازي**". وهذا من خلال نصوص مبتورة لم تعط لهؤلاء قيمتهم.

ـ إن "**الجابري**" يقول أن "**ابن سينا**" يمثل الفكر الظلامي؛ وحكمه غير صحيح لأن الشيخ الرئيس له إسهامات جيدة في العقل، وحتى وإن كان يحمل فكره جوانب من اللامعقول، فلا يمكن القول أنه هرمسي، لأن ذلك الحكم غير علمي وغير موضوعي.

5/ مناقشة النتائج:

إن المفكر "**علي حرب**" في تعليقه على كتاب "**مذبحة التراث**" **لـ: جورج طرابيشي** ـ والذي عرض فيه التيارات القارئة للتراث ـ يقول: { **قلت عند صدوره بأنه ما هكذا يكون النقد المنتج والفعال، وبأن مصطلح "المذبحة"، لا يصلح لقراءة الأعمال الفكرية والخطابات الفلسفية، ذلك أن النقد لم يعد مجرد نقض للأحكام بقدر ما أصبح بحثا عن شروط الإمكان...والأحرى القول إن النقد هو اجتراح ممكنات للتفكير، بتشكيل موضوعات جديدة أو افتتاح حقول جديدة تتغير معها علاقتنا بالمسائل المطروحة.**}(حرب،ع، 1998، ص 179-180)

إن "**جورج طرابيشي**" فتح إمكان نقد مؤلفه "**مذبحة التراث**" حتى قبل قراءته، لأنه من خلال العنوان نفهم أن كل التيارات التي عالجها "**طرابيشي**" في كتابه ذبحت التراث؛ فالنقد قيمة نادرة لا تكون بهذا الشكل، لأن النقد الحقيقي هو النقد الذي يكون من خلال قراءة الأطروحة جيدا ونقضها من الداخل دون تجريح، مع فتح إمكان تطوير تلك الأطروحة وليس الغرض من النقد التجريح أو التقليل من مكانة صاحب تلك الأطروحة. بل خلق إشكاليات ومفاهيم فعالة جديدة.

إن نقد "**علي حرب**" لـ"**طرابيشي**" لا ينفي الإسهامات النقدية القيمة لهذا الأخير.

إن قراءة "**طرابيشي**" للتراث وللفكر العربي المعاصر كان بناء على منهجه التحليل النفسي، ولكن هذا المنهج قاصر عن الإحاطة بكل جوانب الفكر ؛ وهو ما يؤكده "**محمود أمين العالم**" بقوله {**ولهذا فإن الاقتصار على تفسير هذه العودة إلى التراث بمكونات اللاشعور هو تفسير ضيق وقاصر؛ وما قدمة**

طرابيشي في هذا القسم من كتابه "مذبحة التراث" من تحليل نفسي سريري للفكر العربي المعاصر يتضمن ـ موضوعيا ـ طمسا للدلالة التاريخية والاجتماعية والقومية للمو اقف المختلفة من التراث ولا يفضي إلى وضوح موضوعي لأساليب العلاج لهذه الظواهر النكوصية، اللهم إلا بالتوصيات والدعوات التنويرية المجردة}(العالم، م، 1996، ص 45)

وهو ما جعل دراسة **"طرابيشي"** للتراث دراسة لم تلم بكل جوانب التراث، لأن ركزت على الجانب النفسي فقط.

خاتمة

من خلال ما تقدم نستنتج:

ـ أن **"طرابيشي"** قرأ مواقف **"الجابري"** بعيون نقدية وتوصل إلى أن تقسيم ناقد العقل العربي للعقل العربي إلى عقل برهاني وعقل عرفاني وعقل بياني هو تقسيم أيديولوجي غير مبرر؛ من منطلق أن هذا التقسيم سيرمي بموجبه **"الجابري"** فلسفات مشرقية في دائرة اللامعقول والغنوص والهرمسية وهو ما لا يوافق عليه **"طرابيشي"**.

ـ من خلال هذا البحث يتبين لنا أن موقف **"طرابيشي"** من التراث هو أنه ضد التشطير، بمعنى أنه ضد كل تيار ينظر إلى التراث على أنه يمكن الاستفادة من جزء منه وترك الجزء الآخر، لأن ذلك الجزء الآخر قد يكون مفيدا أيضا. وعلى هذا الأساس ما دام أن **"الجابري"** يُدرج جزء من التراث في دائرة اللامعقول، وجزء آخر في دائرة المعقول فهو يُعلي من شأن جزء من التراث ويقبر الجزء الآخر، وهذا مرفوض حسب رؤية **"طرابيشي"**.

ـ إن **"طرابيشي"** مع وحدة العقل العربي، لكن ما يُعاب عليه أنه في كتابه **"مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة"** عالج مواقف الكثير من التيارات القارئة للتراث، بما فيها التيار العلمي الإبستمولوجي، لكن لم يقدم موقفه الصريح من التراث.

ـ إن ما يُعاب أيضا على **"طرابيشي"** أنه دخل في الشطحات التي لا تفيد، يظهر هذا حينما راح يقلل من شأن **"الجابري"** وفكره؛ حيث يصف **"الجابري"** أنه محرف ومزيف الحقائق، فهذا القدح لا يفيد؛ بل هو أقرب إلى تصفية حساب ـ بلغة **"علي حرب"** ـ فالأهم هو النقد الجذري الموضوعي الذي يهدف إلى تطوير الأفكار؛ النقد الذي ليس غايته الهدم والمحو والإقصاء؛ كما أنه يجب الاستفادة من كل أفكار التراث لتطوير الفكر العربي المعاصر.

ـ إن ما يُعاب على دراسة **"طرابيشي"** للتراث وللفكر العربي المعاصر هو أنه درس التراث بتطبيق منهج التحليل النفسي عليه، فركز على الجانب اللاشعوري وأهمل الجوانب الأخرى السياسية والاقتصادية والاجتماعي...الخ.

قائمة المصادروالمراجع

1/ باللغة العربية

ـ الجابري محمد عابد،(1991) التراث والحداثة دراسات ومناقشات، (الطبعة الأولى)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

ـ الجابري محمد عابد، (مارس 2009) تكوين العقل العربي، (الطبعة العاشرة)، بيروت، دار الطليعة.

ـ حرب علي،(1998) الماهية والعلاقة نحو منطق تحويلي، (الطبعة الأولى)، المغرب ولبنان، المركز الثقافي العربي.

ـ الرازي أبو بكر محمد بن زكريا،(1939)رسائل فلسفية، نشره بول كراوس، (دون طبعة) مصر، مكتبة بول باريبه.

ـ طرابيشي جورج، (2004)العقل المستقيل في الإسلام، (الطبعة الأولى)، بيروت ـ لبنان ، دار الساقي.

ـ طرابيشي جورج، (2012)مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة، (الطبعة الثالثة)، لبنان، دار الساقي.

ـ طرابيشي جورج،(1999) نقد نقد العقل العربي : نظرية العقل، (الطبعة الأولى)، بيروت، دار الساقي.

ـ الطرطوشي محمد بن الوليد،(1994) سراج الملوك، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، تقديم: شوقي ضيف، (الطبعة الأولى)، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.

ـ العالم محمود أمين، (1996)مواقف نقدية من التراث، (دون طبعة)، القاهرة، دار قضايا فكرية.

ـ عمراني عبد المجيد،(2015) أشغال الملتقى الوطني الثاني: الكتابة الفلسفية في الجزائر الواقع والآفاق، (دون طبعة)، باتنة، منشورات مخبر حوار الحضارات والعولمة.

ـ كوربان هنري، (1998)تاريخ الفلسفة الإسلامية، ت: نصير مروة وحسن قبيسي، مراجعة: الإمام موسى الصدر، الأمير عارف تامر، (الطبعة الثانية)، لبنان، عويدات للنشر والطباعة.

ـ المحاسبي الحارث بن أسد،(1971) العقل فهم القرآن، تقديم: حسين القوتلي، (الطبعة الأولى)، (البلد غير معرف)، دار الفكر.

ـ المحمداوي علي عبود (محرر)،(2013) الفلسفة الغربية المعاصرة صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج، (الطبعة الأولى) الجزائر، منشورات الاختلاف.

2/ باللغة الأجنبية

ـGrison Francois, (2011) Les sciences Autrement élément de philosophie à l'usage des chercheurs curieux, France, Edition : Quae RD10.